جدلية المعنى أو المبنى بين التنظير الترجمي وتعليمية الترجمة

The Dialectic of Form and Sense in Translation between Translation Didactics and Translation Theory

تاريخ الاستلام : 2019/10/13 ؛ تاريخ القبول : 2020/02/24

إيمان بوقعود*

كلية الأدب و اللغات
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1،
قسنطينة، الجزائر-

ملخص

تحاول هذه الدراسة اقتراح مقاربة في تعليمية الترجمة مبنية على الدراسات النظرية الترجمية، وتتلخص فكرة هذا المقال في اتخاذ ثنائية تشغل الأستاذ والطالب على حد سواء مثالا عن هذا الطرح. ويتعلق الأمر بثنائية الترجمة الحرفية مقابل الترجمة المعنوية. وهيكل البحث قائم على الاغتراف من الزخم النظري الترجمي في محاولة البحث عن جواب مقنع لهذا الإشكال والوصول إلى حلول عملية قابلة للتبني والتطبيق. وقد تجد ثنائية الحرف والمعنى إجابات وحلولا محتملة في "علم الترجمة" بمفهوم هومز Holmes(1988) للمصطلح، إذ يمكن لهذا الفرع المعرفي أن يوفر الهيكل العلمي الذي تبنى عليه تعليمية الترجمة.

الكلمات المفتاحية: نظرية الترجمة، تعليمية الترجمة، ترجمة الحرف، ترجمة المعنى.

Abstract

The present paper proposes a theory-based approach to translation didactics, taking the example of a very common dichotomy that is problematic for students as well as teachers in translation classes; this dichotomy contrasts literal translation to free translation. The idea is to investigate it in translation theory and find a possible, convincing and practical answer to this issue. This dichotomy (literal translation versus free translation) and other issues of great concern can find possible answers and useful solutions in the translation studies proposed by Holmes, which can represent a scientific framework for translation didactics.

Keywords: translation theory, translation didactics, literal translation, free translation.

Résumé

Le présent article propose une approche théorique en didactique de la traduction. L'idée est de prendre une fameuse dichotomie, qui ne cesse pas de poser des problèmes en classes de traduction, comme exemple illustratif de cette approche. Il s'agit de la traduction littérale et la traduction du sens. Ce genre de dichotomies et même d'autres questions majeures en didactiques peuvent trouver de possibles réponses et des solutions applicables dans la traductologie, branche initiée par Holmes. Cette branche peut procurer un cadre scientifique pour une didactique de la traduction.

Mots clés: théorie de la traduction, didactique de la traduction, la traduction littérale, la traduction du sens.

* Corresponding author, e-mail: imenboukaoud@gmail.com

©جامعةالاخوة منتوري قسنطينة1، الجزائر2019.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة

يتعامل الطالب أثناء متابعة درسه في اختصاص الترجمة الأكاديمية، أيا كان نوع المؤسسة أو الهيئة المكونة وكذا اللغات المتعامل معها، مع مقاييس تصنف في خانة المقاييس النظرية. و لعل أهمها و أكثرها تداولا هو مقياس علم الترجمة (traductologie-translation studies). وأولما قد يتبادر إلى ذهن الطالب وهو يتلقى محاضرة في نظريات الترجمة هو التساؤل عن "الجدوى" من تقديم هذا الزخم الهائل من المعلومات المجردة حول الترجمة، بل يحسبها في غالب الأحيان تحصيل حاصل لإتمام تكوينه الأكاديمي، والعلة أنه قد لا يجد لها سبيلا إلى التطبيق المباشر في مقاييس الترجمة التطبيقية بين أزواج اللغات المقترحة في التكوين. إن التفكير في ميدان الترجمة لم يرق إلى مستوى التنظير و المقاربة إلا في عهد قريب، هذا رغم وجود الفعل الترجمي تطبيقا منذ الحقب القديمة. إلا أن الكتابة حول النشاط و عقباته و مناهجه لم تتعد أسطرا ذكرت في مقدمات الكتب المترجمة أو في رسائل برأت المترجمين من تهم التصقت بهم. وما ميز هذه الكتابات هو ذاك الجدل الأزلي الذي طبع التفكير الترجمي منذ القدم، نعني الجدل بين التشبث بالحرف أثناء الترجمة أو الابتعاد عنه لصالحالمعنى، وهوالتساؤل نفسه الذي يشغل الطالب كما الأستاذ في مراحل التكوين المختلفة. فهل يمكن لنظريات الترجمة أن تجيب عن هذا التساؤل القديم الجديد؟

سنحاول في هذا المقال تقصي جملة ما قدمه التنظير الترجمي حيال هذا التساؤل، كما سنبين تطور الفكر الترجمي في تناول القضايا المتعلقة بالترجمة ممثلة في ثنائيات سادت في كتابات الباحثين و اجتهادات الدارسين. و ارتأينا أن نبدأ البحث في الحقب القديمة عن جواب لتساؤلنا.

1-ثنائية الحرف والمعنى قبل القرن العشرين

لقد شغلت ثنائية الحرف والمعنى المترجمين الأوائل كما المحدثين، والفرق بين الأمس واليوم هو الزخم المصطلحي ونمط الطرح الذي ارتقى إلى مستويات بلغت المقاربة والنظرية. سنعرض جملة من الآراء لمفكرين ومنظرين حول الترجمة امتدت على حقبة تراوحت بين القرن الأول قبل الميلاد إلى غاية القرن التاسع عشر، و نفحص في هذا العرض التجاذب بين مفهومي الترجمة الحرفية وترجمة المعنى وأيهم ارجح. و الجدوى من هذا الطرح هو معاينة صيرورة هذين المفهومين تاريخيا من أجل إطلاق الحكم المناسب ومن ثمة وضع الحجة للأستاذ والطالب على حد السواء في الدفاع عن هذا المنحى أم ذاك.

لقد أشار شيشرون[1]Cicéronفي القرن الأول قبل الميلاد إلى منهجه الترجمي في مؤلفهDeOptimo genre oratorum في مقدمة ترجمته لخطابات أيسخينيس Eschine وديموثينيسDémosthènes الذائعة الصيت. وقدأقر بنفسه أنه سمح لنفسه بهامش من الحرية أثناء الترجمة وذلكبنقل أفكار النص الأصل مع الحفاظ على قوة وقيمة الألفاظ دون التقيد الأعمى بكلمات النص الأصل، أي الترجمة كلمة بكلمة، ودون المساس بقوانين وعبقرية اللغة المنقول إليها:[2]

And I did not translate them as an interpreter, but as an orator, keeping the same ideas and forms, or as one might say, “the figures” of thought, but in language which conforms to our usage. And in so doing, I did not hold it necessary to render word for word, but I preserved the general style and force of the language. [3]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم أترجمها (الخطب) باعتباري مترجما بل خطيبا، وأبقيت على الأفكار والأشكال نفسها، أو كما يقال، على "صور" الفكر نفسها، ولكن بلغة لا تتعارض واللغة التي نستعملها اليوم. وعليه، لم أر من الضروري أن أترجم كلمة مقابل كلمة بل أن أحافظ على الأسلوب العام.[4]

وعليه فقد أقر شيشر ونصراحة بأن الترجمة لا تعني بالضرورة مقابلة كلمة بكلمة كما كان سائدا في ذاك الزمان، بل يجب الحفاظ على الأفكار نفسها ونقلها بلغة العصر وبأسلوب يوافق أسلوب النص الأصل.

أما هوراس[5]Horace، عن تلك التي اقترحها ورغم أنه لم يُفصل فعليا في الترجمة، إلا أن آراءه حولها لم تبتعد سابقهشيشرون. و قد أورد باقتضاب رأيه حول الترجمة في مؤلفه Ars Poetica أو "فن الشعر" ،عندما تطرق إلى مسألة محاكاة الشعراء القدامى، مؤكدا أن الترجمة الحرفية مثبطة للإبداع الشخصي[6].

وهذا دأب القديس جيروم[7]Saint Jérome الذي يعد عميد المترجمين وواضع "الفولقاط Vulgate" أو ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية، و قد كانت هذه الترجمة وليدة مراجعة للترجمات التي كانت متوفرة آنذاك (Itala et Vetus Latinaأو العهد الجديد) و مقابلة هذه الترجمات مع ترجمته الكاملة للعهد القديم عن النصوص الأصلية العبرية و الآرامية.

لم تلق هذه الترجمة في البداية الترحيب خاصة من طرف القديس أوغسطينSaintAugustin الذي اتهم صاحبها بالتحريف. لكن القديس جيروم رد على هذه الادعاءات في رسالة بعث بها إلى "الباماكPammaque' العام 395 أو 396 م ملخصا تجربته مع الترجمة قائلا: « Non verbum e verbo, sedsensumexpremere de sensu » أو " المعنى أولى من كلمات النص." [8]

وعليه أكد القديس جيروم أن العبرة من الترجمة ليست فقط الأمانة المطلقة للحرف بل تتعدى هذا المستوى إلى مستويات أخرى يتصدرها المعنى، حتى وإن تعلق الأمر بالنصوص المقدسة.

وإذا رجعنا إلى الموروث العربي الإسلامي لوجدنا هذا الجدل حاضرا رغم ما بلغته الترجمة آنذاك من رفعة وحراك قل نظيرهما في الحضارات السابقة. ويمكن أن نستدل على هذا بما ورد عن **الصفدي** في تفصيله في طرائق الترجمة:

و للتراجمة في النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق و ابن ناعمة الحمصي وغيرهما وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليها من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها و ينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين أحدهما إنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ على حالها، الثاني إن خواص التركيب و النسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات و هي كثيرة في جميع اللغات.

الطريق الثاني في التعريب طريق حنين ابن اسحاق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي للجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها وهذا الطريق أجود.[9]

لقد أشار الصفدي في هذا المقطع إلى منهجيتين أُتبعتا في الترجمة في العصر العباسي، أولاهما الترجمة كلمة بكلمة، ولخصها في مقابلة كل كلمة أعجمية بما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرادفها في اللغة العربية وهكذا حتى يأتي المترجم على جملة ما يريد ترجمته. وقد أفصح الصفدي عن رأيه في هذه الطريقة مؤكدا رداءتها لعلتين:
الأولى أن اللفظة اليونانية لا تجد دوما لفظة تقابلها في العربية، والثانية هو أن الخصائص التركيبية والإسنادية لا تتطابق في اللغتين وكذا الاستعمالات المجازية التي لا يمكن أن تخضع دائما إلى مبدأ الحرفية أثناء الترجمة. وثاني المناهج في الترجمة هو اعتماد الجملة وحدة ترجمية وليس اللفظة، فيحصل المترجم معنى الجملة في ذهنه ثم يعبر عن هذا المعنى بلغة عربية سليمة مقرا أن هذا المنهج أجود.
وإذا رجعنا إلى العصر الوسيط في أوروبا، نجد في ألمانيا أحد أعلام الترجمة يورد زبدة ما وصل إليه بعد أن ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية التي كانت آنذاك مجرد لهجة منطوقة. إنه مارتن لوثر[10]Martin Luther. وكان الفضليعود لهذه الترجمة في أن ارتقت الألمانية من مجرد لهجة إلى لغة رسمية ومستقلة، ذلك أن مارتن حاول جاهدا أن يكيف النص المكتوب باللغة اللاتينية مع متلقييه من الألمان. والهدف من هذا التكييف هو التقريب والابتعاد عن ألتنةاللغة الألمانية.[11] و قد شرح منهج عمله في مؤلفه EinSenbriefVomDolmeTschen قائلا: " لم أنفصل بحرية كبيرة عن الحرف، لكني بذلت قصارى جهدي من أجل السهر على البقاء قريبا قدر ما استطعت من هذا الحرف دون أن أبتعد عنه و بحرية، و هذا عند مراقبة كل جزء قمت بترجمته(...) و فضلت الاعتناء باللغة الألمانية على التشبث بالحرف."[12]
وقد تم التأكيد وفي عدة مناسبات على الطابع المؤسس للترجمة اللوثيرية، إذ أنها لم تكن السبب في ترسيم لغة عامية فحسب، ولكنها كانت أول عمل ألماني ذي شأن.[13]
كل هذا جعل من فان هوفVan Hoof يؤكد أن النوعية التي تمتعت بها هذه الترجمة جعلتها عَلما بالغ الأهمية ليس فقط في تاريخ الترجمة ولكن في الأدب الألماني قاطبة. وزيادة على هذا، تمتعت آراء لوثر بكثير من الحداثة فيما يخص العلاقة بين اللغات المختلفة.

Car ce ne sont pas les lettres de la langue latine qu'il faut scruter pour savoir comment on doit parler allemand, comme le font les ânes ; mais il faut interroger la mère dans sa maison, les enfants dans les rues, l'homme du commun sur le marché, et considérer leurs bouches pour savoir comment ils parlent, afin de traduire d'après cela ; alors ils comprennent et remarquent que l'on parle allemand avec eux. [14]

لا يجدر أن نبحث في كلمات اللغة اللاتينية كيف يجب أن نتكلم الألمانية كما يفعل الحمير، ولكن يجب أن نلجأ إلى الأم في بيتها وإلى الأطفال في الشوارع وإلى الرجل العادي في السوق، فنقرأ في شفاههم كيف يتكلمون، وعلى هذا الأساس يجب أن نترجم، ليفهم كل هؤلاء ويستوعبوا أننا نخاطبهم بلغة ألمانية.

2-آلية المنهجين

من خلال هذا الطرح السريع المقتضب لآراء بعض من المترجمين والمفكرين الأوائل حول جدلية ترجمة الحرف أو ترجمة المعنى، يتجلى بوضوح غلبة الطريقة الثانية على الأولى.
لكن هل يكفي هذا العرض من أجل التسليم المطلق والالتزام الصارم بالطريقة الثانية أثناء الترجمة؟ وهل يمكن أن يعمل هذا العرض التاريخي على تكوين حكم مسبق أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعزيز فكرة راسخة لدى المتكونين في الترجمة مفادها رداءة الترجمة الحرفية وأصحية ورقي ترجمة المعنى؟

للإجابة عن هذين التساؤلين نرجع إلى ما ورد على لسان هؤلاء المفكرين. في الواقع لا نجد تفصيلا صريحا في ماهية المنهجين، ولم ترد أمثلة فعلية لهذا النهج في الترجمة أو ذاك. إذن الأجدر هو التساؤل عن ماهية ترجمة الحرف والتفصيل في منهجها بالأدلة والأمثلة، والشيء نفسه بالنسبة لترجمة المعنى. قد نجد جوابا لهذا في تفصيل الصفدي في طرائق الترجمة أثناء الفترة العباسية. فالترجمة الملتصقة بالحرف حسب ما ورد عن الصفدي تتفق كثيرا مع ما يطلق عليه في المصطلحية الترجمية اليوم "الترجمة كلمة بكلمة"، كما تتقاطع في نقاط عديدة مع المبدأ الذي قامت عليه الترجمة الآلية. أما ترجمة المعنى فيمكن أن تقابل ببساطة الترجمة البشرية بالمفهوم المعاصر للمصطلح. والمعلوم أنه قد ثبت فشل مشروع الترجمة الآلية فعوضت بمصطلح الترجمة المدعمة بالحاسوب، وهذا لرداءتها.

وبهذا يكون جزء من التساؤل الذي طرح آنفا حول الصراع بين الترجمة الحرفية وترجمة المعنى قد وجد جوابا من خلال هذا العرض النظري. فالترجمة كلمة بكلمة أثبتت قطعا فشلها ورداءتها مقارنة مع مناهج أخرى في الترجمة. لكن تظل جملة من التساؤلات حول هذه المناهج الأخرى عالقة نحو: هل ترجمة المعنى هي نفسها الترجمة الحرفية باعتبار هذه الأخيرة نقلا لفحوى ما ورد في اللغة الأصل باللغة الهدف؟ وإن لم تكن كذلك، فهل ترجمة المعنى هي ابتعاد كلي عن النص الأصل وإعادة كتابة؟ ما مدى حدود التشبث بالنص الأصل ومتى يجب الابتعاد عنه؟

يمكن أن يرسم الطالب كما الأستاذ نظرة حول أجوبة محتملة لكل هذه التساؤلات وأكثر، من خلال ما عرفه التفكير والإنتاج النظري في الترجمة من قفزة نوعية وكمية منذ النصف الثاني من القرن العشرين. لكن قبل هذا التاريخ، وجدت محاولات لمترجمين كتبوا عن شروط المترجم وطرق ومناهج الترجمة من أمثلة الجاحظودولي Dolet(1540) ودرايدن Dryden(1680) وتيلر Tytler(1791) وشلايرماخر Schleiermacher(1813) . وتراوحت هذه الكتابات بين عدم الإيجاز إلى الحد الذي كان فيما سبق، وتفصيل لا يضاهي في أي حال من الأحوال ما ورد في الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن العشرين وإلى يومنا هذا.

3-منهج ترجمي عملي في ظل علم الترجمة: خطوات إجرائية

عرف التنظير الترجمي قفزة نوعية منذ النصف الثاني من القرن العشرين بعد شح وجفاء دام قرونا وقرونا، إذ لم يتعد النشاط الترجمي التطبيق الفعلي والإنتاج الملموس الذي تراوح بين الغزارة حينا والتقطير أحيانا. فانكبت الحضارة العربية الإسلامية مثلا على نقل التراث العلمي لما سبقها من الحضارات في حركة ترجمية نشطة ومهيكلة في كنف بيت الحكمة. بينما أولت اهتماما أقل للأعمال الإبداعية الأدبية والشعرية. أما الترجمة في أوروبا فارتبطت أيما ارتباط بنقل الكتاب المقدس وكذا كلاسيكيات الإغريق واليونان. وكان يجب الانتظار حتى حلول القرن العشرين كي نشهد غزارة في الإنتاج النظري الترجمي.فهل نجد في هذه الغزارة جوابا أو ربما أجوبة مقنعة يتسلح بها الأستاذ أثناء تقديم درسه وتخرج الطالب من تيهه حول أحقية النهج الحرفي أو أفضلية النهج المعنوي؟

في الحقيقة، يمكن الإقرار بأن الضبابية التي لفت إشكالية ترجمة الحرف أو ترجمة المعنى قد بدأت في الانقشاع مع أول عمل رائد نُسب إلى فرع اللسانيات التطبيقية التي كانت عرابة الترجمة في النصف الأول من القرن العشرين،ونقصد La stylistique comparée du français et de l’anglais. Méthode de traduction. لصاحبيه جون بول فيني وجون داربلني. وقد ذاع صيت هذا الكتاب في كل البلدان، كما لازال في الخدمة إلى يومنا هذا، وقد أُخرج في عدة طبعات منقحة، وكان خير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دليل لأجيال وأجيال من الطلبة في اللسانيات والترجمة. وأهم ما يميز هذا الكتاب هو المرور بالترجمة من خانة "الفن" إلى خانة "التقنين"، كما كان حجر أساس لبناء درس ممنهج في أقسام الترجمة، وأيضا ساهم في تطوير جملة من النظريات القائمة اليوم في علم الترجمة. وتجدر الإشارة أن المؤلف قد صدر أولا باللغة الفرنسية ولم تصدر النسخة الانجليزية إلا عام 1995 بعد جملة من المراجعات والتنقيحات، وأصبحت النسخة الإنجليزية أكثر تداولا[15]. ويمكن الإقرار بأن ثنائية الحرف والمعنى قد خرجت في هذا المؤلف من دائرة الجدل العقيم إلى الإجراء الملموس، ذلك أن المقارنة بين اللغتين الفرنسية والانجليزية قد أثبتت عدم أفضلية منهج على الآخر، بل إن طبيعة اللغات المتباينة والمواقف الترجمية المختلفة تفرض تبني إجراء دون الآخر. وخرج الباحثان بإجراءات سبع في الترجمة يمكن أن تعمم على كل الأزواج اللغوية، وعليه يمكن الوصول إلى نوع من تقنين العملية الترجمية.[16]وقد عبر المؤلفان صراحة عن هدفهما هذا:

L'objectif est de dégager une théorie de la traduction reposant à la fois sur la structure linguistique est sur la psychologie des sujets parlants. [17]

الهدف هو استخراج نظرية في الترجمة تعتمد على البنية اللغوية وعلى نفسية المتكلمين في آن واحد.

أما عن الإجراءات السبعة فقسماها إلى ثلاثة مباشرة (الاقتراض والنسخ والترجمة) قد تغطي الدائرة المفهومية للترجمة الحرفية، وأربعة غير مباشرة (الإبدال الصرفي والتعديل والمكافئ والتكييف) قد تربط ترجمة المعنى بأمثلة تطبيقية واضحة. ورغم الانتقادات التي تعرض لها هذا العمل، يجب الإشارة إلى أن لأسلوبية فيني وداربلني مكانا في الدرس الترجمي، كما يمكن تفعيلها إيجابيا ولصالح الطالب من خلال نقاط ثلاث:

أولا: يمكن للإجراءات المقترحة أن تكون لدى الطالب، خاصة في المرحلة الأولى من التكوين، مدونة خاصة بالترجمة. أي دائرة مفهومية مرتبطة بمصطلحات واضحة محددة. والهدف من إدراجها في المقرر ليس إملاء طرائق يتبعها الطالب أثناء الترجمة، وإنما ربط مفاهيم مفتاحية في الترجمة بالمصطلحات التي تناسبها أو تسمية المسميات بأسمائها، فمثلا يمكن أن يعي الطالب مصطلح الترجمة الحرفية من حيث المفهوم والإجراء ومواضع الاستعمال، كما يمكن أن تتبدد لدى الطالب بعض الأحكام المسبقة حول رداءة الترجمة الحرفية مقابل الترجمة الحرة، هذه الأخيرة تكون قد وجدت لنفسها مفهوما واضحا لا يتعدى أن يكون إجراءات قد يلجأ إليها المترجم مجبرا لا مخيرا لعجز في الترجمة الحرفية تركيبيا أو دلاليا.

ثانيا: فكرة الوحدة الترجمية مهمة فعلا أثناء ممارسة النشاط الترجمي، كما أنها ضرورية أثناء التدريس. فيعتمدها الطالب والأستاذ على حد سواء عن قصد أو غير قصد، عن وعي أو غير وعي، وإن اختلفت في الطول والقصر والعلاقات المنطقية التي تربط مكوناتها. وبحكم الممارسة، أظنه مُهمًا جدا لفت انتباه الطالب إلى تبني وحدة ترجمية أثناء الترجمة، دون أن نقيدها في قاعدة جامدة لا تقبل الكسر (اللفظة أو الجملة أو النص.)، ولكن تكييفها دائما مع السياق العام الذي يندرج فيه النص قيد الترجمة.

ثالثا: لا يختلف اثنان أن المقارنة بين نظامين لغويين مختلفين أمر فيه منافع لطالب الترجمة، ويخرجه من دائرة المفاهيم الفضفاضة إلى الفعل الإجرائي الواقعي. وهذا ما يمكن أن توفره هذه الإجراءات إذا ما أسقطت على اللغة العربية مقابل الفرنسية أو الانجليزية. كما أن إدراك أوجه التشابه والاختلاف من شأنه أن يوفر على الطالب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كثيرا من الجهد باعتماد حلول لمواقف ترجمية تكون قد خزنت بعد هذه الدراسة المقارنة دون ادعاء توفير وصفات سحرية صالحة لكل مقام ومقال.

وإذا ما سلمنا أن الجدل بين الحرف والمعنى وهمي، ذلك أن المترجم يعمد إلى اعتماد استراتيجيات ترجمية مختلفة حسب المواقف، والأصل والطبيعي هو الترجمة الحرفية بالمعنى الذي بيناه آنفا، إلاإذا فشلت هذه الترجمة في نقل الرسالة الأصل لجأ المترجم إلى الفرع، سنتبنى بالضرورة ما أكده بيتر نيومارك صراحة قائلا:

(…) provided that equivalent effect is secured, the literal translation is not only the best, it is the only valid method of translation.(18)

(...) ليست الترجمة الحرفية الأفضل فحسب، بل هي النهج الوحيد السليم في الترجمة شريطة إحداث أثر مكافئ.

لكن متى تفشل الترجمة الحرفية؟أو متى يلجأ المترجم إلى الفرع و ليس الأصل؟

لقد حاولت النظريات الحديثة الإجابة عن جل هذه التساؤلات كما سلحت المترجم بحلول نظرية قابلة للتطبيق. أكدت كل من ماريان ليديرار Lederer Marianneو دانيكاسليسكوفيتش DanicaSeleskovitchضمن نظريتهما التأويلية أو نظرية المعنى La théorie interprétative ou la théorie du sensأن الترجمة تتعامل أساسا مع المعنى ،و هذا المعنى لا يمكن أن يكون إلا في نصوص،كما أنه يتعلق بملكتين أساسيتين: الملكة اللسانية compétence linguistique،وملكةموسوعية compétence encyclopédique تشمل جملة من المكملات المعرفية compléments cognitifs. يمكن للمترجم أن يصل إلى فهم المصرح به في النص الأصل من خلال دمج متزامن لهاتين الملكتين، سواء كان هذا النص مكتوبا أو منطوقا.

(…) la compréhension d’un texte ou d’un discours est un processus qui dégage le sens d’une chaine sonore ou graphique grâce à l’association de significations linguistiques et de compléments cognitifs. (19)

(...) فهم نص أو خطاب عملية ناتجة عن استخراج للمعنى من سلسلة صوتية أو مكتوبة بفضل دمج جملة من المعارف اللسانية والمكملات المعرفية.

وعليه تتصدر عملية "الفهم" هرم العملية الترجمية، فإذا حصلنا المعنى من النص الأصل، تقولب آليا في أشكال لسانية في اللغة الهدف شريطة التحكم الممتاز في هذه الأخيرة. ذلك أن المعنى والمبنى وجهان لعملة واحدة لا يمكن فصلهما. ولا يتأتى هذا "الفهم" من الشكل اللساني في النص الأصل فحسب، بل يرتبط بوعي من المترجم أو لا وعي منه بمكملات معرفية تساعده على تحصيل "مراد قول" كاتب النص الأصل في حدود "المصرح به" في هذه الأشكال اللسانية. و"مراد القول" في نظرية المعنى لا يعني أبدا الضمني أو ما بين الأسطر أو التأويل ،بل هو ما تم التصريح به و فقط ،و قد ضربت هذاالمثال:

Pierre a cessé de fumer

والمصرح به أن بيار كان مدخنا وقد توقف عن التدخين حاليا. ويمكن لنفس هذا الملفوظ أن يحتمل التضمينات التالية:" ليس مثلك، فأنت تصر على التدخين، خذ العبرة منه...إلخ".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتؤكد ليديرار أن المعني بالترجمة هو فقط المعنى المصرح به، لكن الوصول إلى هذا المصرح به يمر بهذه التضمينات التي تظل وفي جميع الأحوال مستبعدة من الفعل الترجمي.[20] وعليه تكون الترجمة ودون تردد " توقف بيار عن التدخين."

من خلال هذا التفصيل ،يتوضح جليا للطالب أن الأهم في الترجمة هو تحصيل المعنى الصحيح. و المعنى الصحيح هو مراد قول كاتب النص الأصل، وإذا حصل هذا، تأتي إعادة صياغته آليا في حال التحكم الممتاز في اللغة الهدف، فقد نعبر بأكثر من جملة عن المعنى نفسه، وقد يحصل أن نجد في فوج مكون من عشرة طلبة، عشر ترجمات مختلفة لكن مقبولة للنص الواحد، فاللغة بطبيعتها مرنة لكن الثابت في المعادلة هو المعنى. وهنا قد لا يطرح الطالب أصلا مشكلة مدى التشبث أو الابتعاد عن النص الأصل.

لكن قد يحصل ويصادف المترجم ابتعادا كليا عن النص الأصل يصل إلى حد التغيير في النصوص المترجمة، كأن ُيترجم "الشراب" بمعنى المُسكر بـ"العصير". فمتى يلجأ المترجم إلى مثل هكذا إجراء؟

قد نجد الجواب في نظرية الهدف SkoposTheory، وقد انطلق فارميرVermeerفي هذه النظرية من مسلمة مفادها أن مناهج واستراتيجيات الترجمة تحدد أساسا بالهدف والغاية من النص المراد ترجمته. وعليه تكون الترجمة حسب الهدف. غير أن الأمر هنا لا يتعلق بالوظيفة المحددة من قبل كاتب النص الأصل، بل العكس، إذ يتعلق الأمر بوظيفة استشرافية مرتبطة بالنص الهدف وخاضعة إلى المُوصى بالترجمة. أي أن من يحدد الهدف من الترجمة هو الزبون حسب حاجاته واستراتيجيات اتصاله. وقد استعان فارمير بأعمال كاثارينا رايس CatharinaReissفي إلحاق الترجمة بنوع النص أو الخطاب الذي تنتمي إليه.[21]تميز رايس بين أنواع ثلاثة من النصوص: النصوص الإخبارية textes informatifsوالنصوص التعبيرية textes expressifs والنصوص الفاعلة textes opératifs. و أضافت نوعا رابعا هو النصوص السمعية البصرية textes multimédiasوالتي يمكن أن تكون تعبيرية أو إخبارية أو فاعلة كما يمكن أن تضم الوظائف الثلاث معا[22]. ويحدد الهدف من الترجمة مختلف الاستراتيجيات الممكنة لترجمة نص أصل واحد. وعلى سبيل المثال، يعمد اللسانيون إلى الترجمة كلمة بكلمة من أجل التعرف على بنيات وتركيبة اللغات المجهولة، تماما كما كان يفعل الرعيل الأول من المترجمين أثناء تعاملهم مع الكتاب المقدس لاعتقادهم بقدسية الكلمة وحتى بقدسية ترتيبها في الوحي الرباني.

كما نجد أن الترجمة الحرفية (والتي تختلف عن الترجمة كلمة بكلمة) تُعتمد في تعليم اللغات الأجنبية كوسيلة ناجعة لمراقبة مدى استيعاب الطلبة للعناصر المعجمية والتركيبية والأسلوبية للغة الأجنبية.

أما الترجمة الفيلولوجية والتي توافق نظرة شلايرماخر في تقريب المتلقي من كاتب النص الأصل، فتهدف إلى إعلام متلقي الترجمة حول الكيف الذي تخاطب به كاتب النص الأصل مع متلقيه الأصليين، بمعنى آخر، يُراعى أثناء الترجمة الجانب البراغماتي إضافة إلى الجوانب اللسانية والدلالية.[23]

في سياق تعليمي يمكن القول أن نظرية الهدف حررت الأستاذ كما الطالب من تلك الجدلية الثنائية التقليدية بين الحرف والمعنى وإشكالية التكافؤ في الترجمة، وحلقت به نحو آفاق تحاكي الحياة العملية الواقعية الحديثة التي أفرزتها مهنة المترجم في القرن الواحد والعشرين حيث أصبح التواصل العالمي حقيقة نعيشها. كما يمكن لهذه النظرية أن تزود المكون في ميدان الترجمة من وضع خطة عمل أو منهاج قابل للتطبيق من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلال تبني الفئات النصية المقترحة كنقطة انطلاق توجه عملية اختيار المادة العلمية المقترحة خاصة إن كانت طبيعة التكوين أكاديمية عامة بعيدة عن الاختصاص.

أما في سياق عملي، تؤمن هذه النظرية أن المترجم يعمل في إطار مهني يجبره على تحمل مسؤوليته ليس فقط نحو نصوص، بل خاصة نحو أشخاص، فهو ينظر إلى الترجمة بنظرة المشروع الذي يراعي جملة من العوامل لنجاحه، مما يشجعه على التعامل مع الترجمة في سياقها الاجتماعي الواسع واضعا في الحسبان الجانب الأخلاقي للمهنة..[24]

خاتمة

هذا نموذج عن سؤال محوري يعترض الأستاذ قبل الطالب أثناء ممارسة نشاطه الترجمي فعلا، قد وجد أجوبة لا جوابا واحدا في عرض نظري لا يكاد يكون نقطة في بحر من القول. فرغم الطابع التطبيقي الذي قد يميز تعليمية الترجمة، لا يمكن تصور تكوين يقتصر عليه استثناء دون التأسيس له نظريا. ومن أهم ما خلصنا إليه بعد استعراض لآراء الباحثين والدارسين في الميدان حول جدلية الحرف أو المعنى، والأمر قابل للتعميم على باقي القضايا في تعليمية الترجمة من قبيل وضع المناهج وفحوى الدروس والتقويم...الخ، هو أن الجانب النظري يساعد الأستاذ على تصور المناهج الأنسب وتحديد أهداف درسه ويوجه عملية الانتقاء لديه، والأهم ربما هو احترامه لأخلاقيات المهنة التي يمارسها، فيؤسس لدوره كمكون ويخرج من دائرة الأحكام الشخصية والتبريرات الفضفاضة إلى التأسيس النظري والحجة العلمية، فيبني جدار الثقة بينه وبين الطالب، كما يلبس سترة واقية تحميه من تلك النظرة الدونية التي تحصره في مجرد مزدوج لغة إلى مترجم واع بما يقدمه. أما الطالب فقد أجمع الدارسون أن تعرضه للجدل النظري يكسبه أفقا أوسعا في نظرته إلى الترجمة كما يسلحه بقدرة أكبر على اتخاذ القرارات وتبريرها واقناعه بأن الصعوبات الترجمية لا تملك حلولا سحرية جاهزة بل عقلا واعيا بحيثياتها قادرا على تجديد الحلول مع تجدد المواقف.

المراجع العربية

-الصفدي صلاح الدين بن أيبك، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

المراجع الأجنبية

-Ballard Michel, De Cicéron à Benjamin : traducteurs, traductions, réflexions, Presses universitaire de Lille, 1992.

-Ballard Michel, Histoire de la traduction : Repères historiques et culturels, Traducto, 2013.

-Berman Antoine, L’épreuve de l’étranger : Culture et traduction dans l’Allemagne romantique, Gallimard, Paris, 1984.

-Cicero, MT, De optimo genre oratorum, translated by H.M Hubell, Cambridge, MA Havard University Press, London, 1960.

-Gaffiot Félix, Note sur Cicéron traducteur du grec, Revue des études Grecques, volume 47, n 219, 1934.

-Guidère Mathieu, Introduction à la traductologie : penser la traduction hier, aujourd’hui, demain, Traducto, De Boeck, 2010.

-Lederer Marianne, la traduction aujourd’hui : le modèle interprétatif, Hachette.Paris, 1994.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-Munday Jeremy, Introducing Translation Studies: Theories and Applications, Routledge, London and New York, 2nd Edition, 2008.
-NewmarkPeter, Approaches to Translation, Oxford, Pergamon Press, 1981.
-Rakova Zuzana, Les theories de la traduction, MasarykovaUniverzita, Brno, 2014.
-Van Hoof, Histoire de la traduction en occident : France, Grande Bretagne, Allemagne, Russie, Pays-Bas, Duclot, Paris. 1991.
-Vinay J P et Darbelnet, La stylistique comparée du français et de l'anglais : Méthode de traduction, Didier, 1958.

الهوامش:

(1)- شيشرون: هو خطيب وسياسي وأديب روماني عاش في القرن الأول قبل الميلاد ويصنف ضمن أشهر خطباء روما وأهم كتاب اللغة اللاتينية القديمة.

(2)- Félix Gaffiot, Note sur Cicéron traducteur du grec, revue des études Grecques, Volume 47, n 219, 1934, p 21

(3)-Cicero,M.T.(46 BCE/1960CE), De optimo genre oratorum, translated by H.M. Hubbell ,Cambridge, M.A Harvard University Press, London, p 364.

(4)- الترجمات الواردة في مجمل هذاالمقال مقترحة من طرف الأستاذة الباحثة.

(5)- هوراس: شاعر غنائي وناقد أدبي روماني عاش في القرن الأول قبل الميلاد.

(6)-Michel BALLARD, Histoire de la traduction, Repères historiques et culturels, Traducto 1ere édition,2013,p 22.

(7)- هو راهب روماني ولد بد لماسيا (يوغوسلافيا حاليا) وتوفي ببيت لحم. أتقن عدة لغات وترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية وعاش بين القرن الرابع والخامس للميلاد.

(8)-Zuzana Rakova , Les théories de la traduction, Masarykovauniverzita, Brno, 2014, p 27.

(9)- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، دار الكتب العلمية، بيروت،1990، ص 79

(10)- عالم لاهوتي ألماني وأب البروتستانتية، ولد عام 1483م وتوفي عام 1546م بألمانيا.

(11)- Zuzana Rakova, Op.cit. p28

(12)-Michel Ballard, De Cicéron à Benjamin, Traducteurs, traductions, réflexions, Presse universitaires de Lille, 1992, p 143.

(13)- Antoine Berman, L'épreuve de l'étranger : culture et traduction dans l'Allemagne romantique. Gallimard, Paris, 1984, p 46.

(14)-Van Hoof, Histoire de la traduction en occident : France, Grande Bretagne, Allemagne, Russie, Pays-Bas, Paris, Duclot, 1991, p 214.

(15)-Zuzana Rakova, Les théories de la traduction, Brno, 2014, p 89.

(16)-ZozanaRakova, Op.Cit.p89.

(17)-J P Vinay et J Darbelnet, La stylistique comparée du français et de l'anglais, Méthode de traduction, Didier, 1958, p 26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(18)-Peter Newmark, Approaches to Translation, Oxford, Pergamon Press, 1981, p 39.
(19)-Marianne Lederer, La traduction aujourd'hui, le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, p 42.
(20)-Marianne Lederer, Op.cit. Pp 34-35.
(21)-Mathieu Guidère, Introduction à la traductologie , Penser la traduction : hier, aujourd'hui, demain, Traducto, De Boeck, 2010, Pp 72-73.
(22)-Jeremy Munday, Introducing Translation Studies: Theories and Applications, Routledge, London and New York, 2nd Edition, 2008.
(23)-ZuzanaRakova, Op.cit. Pp 177-179.
(24)-Anthony Pym dansZuzanaRakova, Op.cit. p 193.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com